شيخ الإسلام

العز بن عبد السلام

حياته وآثاره

٥٧٧ ـ ٦٦٠ هـ

إعداد الأستاذ المساعد بقسم الفقه والأصول

دكتور / علي بن محمد الشريف

تقديـــم :

مُنى العالم الإسلامي فى القرون الثلاثة، الخامس، والسادس، والسابع الهجرية، بسلسلة من الفتن الداخلية، والحروب الخارجية، وأهمها حروب الصليبيين من الغرب، والتتـار من الشرق، مما أدى إلى تضعضع الكيان السياسى ـ كحالتنا الحاضرة ـ وانتشار الفساد فى مختلف فئات المجتمع، وأصاب المحيط العلمى رذاذ من ذلك الفساد والانهيار، فسكت أكثر العلماء عن الجهر بالحق، وسايروا الحاكمين رغبة أو رهبة، واعتزل كثير منهم الحياة العامة، تحت تأثير الدعوات الصوفية التى انتشرت بقوة في أنحاء العالم الإسلامى كله، وكان أقصى أمانـى الصالحين منهم أن ينجوا بأنفسهم من الفساد، ويسلموا من معايشة الشر والرضى بالمنكر(١).

فى هذا الوسط المضطرب ، نشأ العالم «سلطان العلماء» عز الدين بن عبدالسلام، فكان وجوده نسمة من نسمات الرجاء، تهب على قلوب البائسين، وعزمة من عزمات الإيمان تنبعث فى أوساط المتخاذلين، وسوطا من سياط الحق، يلهـب اللـه به ظهـور المنـكرين والمتجبـرين الظالمين(٢).

١ ـ نسبه ومولده : ـ

هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السُلمى الدمشقى مولدا، الشافعى مذهبا، ثم المصرى وفاتا.

ولد ونشأ بدمشق سنة ٥٧٧ هـ أو ٥٧٨ هـ على اختلاف فى ولادته، ولقب بعزالدين جريا على عادة عصره الذى انتشرت فيه هذه الألقاب المنسوبة إلى الدين، لسلطان الدين في نفوس الناس، وعنايتهم به، ولقب بها الملوك والأمراء والعلماء. مثل صلاح الدين يوسف، وركن

(١) عظماؤنا فى التاريخ د/مصطفى السباعى صـ ٢٢١

(٢) المرجع السابق صـ ٢٢١/٢٢٢

الدين بيبرس...... والذى لقبه «بسلطان العلماء» تلميذه ابن دقيق العيد، ولعل وجه ذلك أنه أنكر على السلاطين المنكر، وقارعهم الحجة فغلبهم، واشتهر بالعز بن عبدالسلام[٣].

توفى رحمه الله فى العاشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٠ هـ بالقاهرة، ودفن بالقرافة الكبرى، فى سفح جبل المقطم، وحضر جنازته الخاص والعام، السلطان فما دونه، ولما بلغ السلطان خبر وفاته، قال: لم يستقر ملكى إلا الساعة لأنه لو أمر الناس بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره[٤].

٢ ـ أعماله فى دمشق : ـ

تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة والإمامة بالجامع الأموى[٥]، وأزال كثيراً من البدع التى كان الخطباء يفعلونها، من دق السيف على المنبر وغير ذلك، وأبطل صلاتى الرغائب[٦]، فقد جاء بشأنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يصوم الخميس أول خميس فى رجب، ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة، يعنى ليلة الجمعة اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتى عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى علىّ سبعين مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد النبى الأمى، وعلى آله، ثم يسجد فيقول فى سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر وارحم، وتجاوز عمّا تعلم، إنك أنت الأعز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال فى السجدة الأولى، ثم يسأل الله حاجته، فإنها تُقضى، والذى نفسى بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة، إلا غفر الله له جميع ذنوبه....».

(٣) العز بن عبدالسلام ـ حياته وآثاره، ومنهجه فى التفسير تأليف د/عبدالله الوهيبى صـ ٤٧
الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، تأليف/ الشيخ عبدالله المراغى صـ ٧٣
شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلى جـ ٣٠١/٥، ـ طبقات الشافعية لابن السبكى جـ ٨٠/٥

(٤) شذرات الذهب جـ ٣٠٢/٥ طبقات الشافعية (حـ) (٨٤/٥).

(٥) الاعلام للزركلى (١٤٤/٤) معجم المؤلفين (٢٤٩/٥)

(٦) الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة. طبعها المكتب الإسلامى بدمشق، بتحقيق الشيخ/ محمد ناصر الألبانى، الشيخ/ زهير الشاويش، بعنوان مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين، العز بن عبدالسلام، وابن الصلاح.

قال ابن الجوزى بخصوص هذا الحديث: فى سنده على بن جهضم، اتهمه العلماء بالكذب. وقال أيضا: سمعت شيخنا عبدالوهاب الحافظ، يقول: رجاله مجهولون فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم[(٧)].

وأبطل كذلك صلاة النصف من شعبان، فوقع بينه وبين ابن الصلاح بسبب ذلك خلاف[(٨)]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن الصلاة المذكورة:
«ياعلى مَنْ صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، عشر مرات، قال النبى صلى الله عليه وسلم: ياعلى ما من عبد يصلى هذه الصلوات، إلا قضى الله عز وجل له، كل حاجة طلبها تلك الليلة...».

قال ابن الجوزى تعليقا على الكلام السابق جمهور رواته مجاهيل، وفيه ضعفاء. قال الذهبى: إنه من وضع على بن الحسن الشورى[(٩)].

٣ ـ أعماله فى القاهرة:

تلقاه الملك الصالح نجم الدين أيوب ـ ملك مصر ـ عندما غادر الشام سنة ٦٣٩ هـ، بالترحيب والإجلال وأكرمه خير إكرام، وولاه الخطابة فى جامع عمرو بن العاص، وأسند إليه رياسة القضاء فى القطر المصرى ماعدا القاهرة، فقام بالمنصب خير قيام، ثم عزل نفسه، من القضاء، فبنى له الملك الصالح مدرسة الصالحية ليدرس فيها، فعكف على التدريس فيها للشافعية، وقصده الطلبة من كل البلاد، وتخرج فيها الأئمة[(١٠)].

ولما استقر مقامه فى مصر أكرمه حافظ الديار المصرية، وزاهدها العظيم المنذري، وامتنع

---

(٧) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة/لأبى الحسن على الكنانى.
تحقيق/ الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، والشيخ/ عبدالله محمد الصديق جـ ٩٠/٢ وما بعدها.

(٨) طبقات الشافعية جـ ٨٠/٥

(٩) تنزيه الشريعة المرفوعة، عن الأخبار الشنيعة الموضوعة/ لأبى الحسن على الكنانى، تحقيق الشيخ/عبدالوهاب عبداللطيف، والشيخ/عبدالله محمد الصديق جـ ٩٢/٢، ٩٣.

(١٠) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين/ للشيخ عبدالله المراغى جـ ٧٣/٢، ٧٤

عن الفتيا، وقال: كنا نفتى قبل حضور الشيخ عزالدين، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه[١١].

٤ ـ إيمانه وشجاعته : ـ

أعطى حاكم دمشق اسماعيل بن العادل، مدينة صيدا، وقلعة الشقيف ـ جنوب لبنان حاليا ـ للفرنج ـ الصليبيين ـ سنة ٦٣٨ هـ ، ليساعدوه على حاكم مصر، ابن أخيه نجم الدين أيوب، فنال منه الشيخ عزالدين على المنبر، ولم يدع له، وكان يومئذ خطيب جامع دمشق، كما أنكر عليه أبوعمرو بن الحاجب المالكى، فغضب عليهما وعزلهما وحبسهما بالقلعة، ثم أفرج عنهما، وطلب منهما مغادرة الشام[١٢].

وكان سبب ذلك جرأته فى الحق، وشدته على المبطلين، وإخلاصه النصح لله ولرسوله وللمسلمين، اخلاصا أورده المهالك، ولكنه كان فى نفسه أعظم من أن يستحضر الخوف من المهالك، فهو رجل عظيم، لا من الذين يستمدون عظمتهم من مقاييس الدنيا الزائلة، بل من الذين تنبع عظمتهم من حقائق الحياة الخالدة، المتصلة بحقائق الكون والحياة. وفوق ذلك جهاده فى سبيل الله، وتحريضه الناس على قتال التتار، وخوضه المعارك على كبر سنه، وحاجة المسلمين إليه، ولكن لم يراع سنة، ولا حاجة المسلمين إليه، بقدر ماكان يراعى واجبه، وطلب رضى الله عنه[١٣]

فهو من الذين حاربوا الظلم والطغيان، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وغيروه، وهانت عليهم أنفسهم فى سبيل اعزاز الدين، ونصرة المظلومين، فهو يقول «ينبغى لكل عالم إذا أُذل الحق، وأُخمل الصواب، أن يبذل جهده فى نصرهما، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول أولى منهما، وإن عُز الحق وظهر الصواب، أن يستظل بظلهما...»[١٤].

---

(١١) طبقات الشافعية جـ ٥/٨١، ـ مقدمة شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول/للقرافى ص ١٠، ـ شذرات الذهب جـ ٥/٣٠٢

(١٢) طبقات الشافعية جـ ٥/٢١٠، شذرات الذهب جـ ٥/٣٠٢ ، طبقات الأصوليين جـ ٢/٧٣ .

(١٣) عظماؤنا فى التاريخ ٢٢٢/٢٢٣ .

(١٤) العز بن عبدالسلام د/عبدالله الوهيبى ص ٧، طبقات الشافعية جـ ٥/٢٤٥

وكان يضرب به المثل فيقال «ما أنت إلا من العوام، ولو كنت ابن عبدالسلام»(١٥) فكل هذه السيرة العطرة، والجهر بالحق، والذى لا يخشى فى الله لومة لائم، قد تمثل فى ذلك قول الشاعر:

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا إن الحياة عقيدة وجهاد

٥ - شـيوخه : -

لقد تتلمذ على كثير من العلماء، فسمع الحديث والفقه من القاضى جمال الدين أبي القاسم محمد بن على بن عبدالواحد الحرستانى الأنصارى الخزرجى السعدى الدمشقى، وشيخ الشيوخ عبداللطيف بن اسماعيل بن أبى سعد البغدادى. وتفقه على فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدى وغيره، وقال الآمدى: العز أفقه من الغزالي، وعلى أبى البركات بن ابراهيم بن طاهر الخشوعى، وحنبل الرصافى، وعمر بن طبرزد، وأبوالحسن الماوردى ولم يلتق به(١٦).

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم، استفاد العز وتكونت شخصيته المتميزة، فكان علم عصره عارفا باختلاف أقوال الناس ومآخذهم، فقيها، أصوليا، محدثا، خطيبا، واعظا، أديبا، شاعرا، مفسرا، فبرع فى المذهب الشافعى، وبلغ رتبة الاجتهاد، وفاق الأقران والاضراب، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد(١٧).

٦ - تلاميـذه : -

تتلمذ عليه الكثير، وتخرج على يديه العلماء الأعلام الذين ملأوا الدنيا علماً ومعرفة، فمنهم شيخ الإسلام ابن دقيق العيد المتوفى ٧٠٢ هـ وهو الذى لقب عزالدين «بسلطان العلماء» والإمام علاء الدين أبوالحسن الباجى، والشيخ تاج الدين بن الفركاح، والحافظ أبومحمد الدمياطى، والحافظ أبوبكر محمد بن يوسف بن مسرى، والعلامة احمد أبو العباس الدشناوى،

(١٥) الاعلام / للزركلى جـ ١٤٥/٤

(١٦) العز بن عبدالسلام/ د/عبدالله الوهيبى ص ١٠١ وما بعدها.

(١٧) معجم المؤلفين /لكحالة جـ ٢٤٩/٥، - الفتح المبين جـ ٧٤/٢، شذرات الذهب جـ ٣٠١/٥، طبقات الشافعية جـ ٨٠/٥

والعلامة أبومحمد هبة الله القفطى[١٨]، والشيخ شهاب الدين أبوشامة، وعبداللطيف بن العز بن عبدالسلام[١٩].

٧ ـ مكانته العلمية : ـ

أما عز الدين العالم المؤلف فقد اشتهر بنبوغه فى الفقه الشافعى بين رجال الفقه والتاريخ دون غيره من العلوم، وأجمع معاصروه وكبار مترجميه، كشيخ الإسلام الذهبى والسبكى وابن الحاجب وابن كثير وابن العماد الحنبلى، وغيرهم على علو مرتبته فى هذا المجال وبلوغه رتبة الاجتهاد، كما يعتبر الشيخ أحد الأساطين الذين ألفوا فى موضوع «القواعد الفقهية الكلية» وكتابه «قواعد الأحكام فى مصالح الأنام» من أجود الكتب فى الموضوع، ومن أحسن مؤلفاته، وبلغ عدد مؤلفاته فى الفقه ثلاثين مؤلفا فى الفقه والتفسير والحديث والتوحيد والتصوف والسيرة، ومعظمها فى الفقه الشافعى.

وهكذا فشهرة عز الدين ترتكز على إمامته ونبوغه فى الفقه الشافعى، لدى معظم العلماء قديما وحديثا، وقليل من مترجميه نوه به كمفسر للقرآن الكريم، متخصص فيه بجانب تخصصه فى الفقه، ومن هؤلاء قطب الدين اليونينى (فى ذيل مرآة الزمان جـ ١٧٢/٢)، وابن العماد الحنبلى (شذرات الذهب جـ ٣٠١/٥) والسيوطى (الإتقان جـ ٩/١) كما ذكره الداودى صاحب «طبقات المفسرين (جـ ٣٠٨/١ وما بعدها).

ولقد أشار بعض مترجميه القدامى، ممن اهتموا بذكر مؤلفاته ـ كالسبكى واليافعى وابن رافع السلامى وابن كثير ـ إلى كتاب فى التفسير للعز بن عبدالسلام[٢٠].

وهنا نترك الدكتور/ عبدالله الوهيبى يتكلم، حيث جعل أطروحته للدكتوراه العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه فى التفسير. «للعز تفسيران أحدهما اختصار تفسير الماوردى «النكت والعيون»، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم، اقتصر فيه مؤلفه على تفسير ما خفى من آيات القرآن الكريم، وقد جمع فيه بين أقاويل الخلف والسلف.

---

(١٨) الفتح المبين جـ ٧٤/٢، طبقات الشافعية جـ ٨٠/٥

(١٩) العز بن عبدالسلام د/عبدالله الوهيبى.

(٢٠) فوائد مشكل القرآن ـ للعز بن عبدالسلام تحقيق الدكتور رضوان الندوى ص ١٩/١٨

أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل، ولايزال هذا التفسير مخطوطا، وقد نال شهرة كبيرة، لانتشار نسخه الخطية بين الشرق والغرب، ونقل من جاء بعده من المفسرين عنه، كالقرطبى الذى اعتمد عليه كثيرا، وابن الجوزى، والفخر الرازى وغيرهم. كما أن بعض العلماء قام باختصاره وتهذيبه....

وقد قام العز باختصار لهذا التفسير، ولم يبين سبب اختصاره له، ولا منهجه فى الاختصار، ولعل سبب ذلك ما يلى : ـ

أ ـ قيمة تفسير الماوردى العلمية، وأهميته ونفاسته.

ب ـ مافيه من تطويل يحتاج إلى اختصار وتهذيب.

حـ ـ مجاراة للعصر الذى عاش فيه العز، فقد كثرت فيه المختصرات، لأن العلوم قد كملت تقريبا ونضجت.

والتفسير الآخر للعز من تاليفه ابتداء، وهو تفسير مختصر من حيث المادة العلمية، ولكنه أطول من تفسيره المختصر، وقد نشر الأستاذ الفاضل فى آخر صفحة من كتابه المذكور «تفسير العز بن عبدالسلام بتحقيق الدكتور الوهيبى»[٢١].

والحقيقة أن عز الدين ألف كتابين في التفسير، فقد نص ابن قاضى شهبه فقال فى (طبقات الشافعية ورقة ٧٤ أ مخطوط المتحف البريطانى رقم ٧٣٥٦). والذى يوجد الجزء الثانى منه فى المكتبة العامة لدولة قطر، ويبلغ عدد أوراقه ثلاثمائة ورقة. ويشمل تفسير النصف الثانى من القرآن الكريم.

وتفسير آخر فى مجلد واحد ببلغ عدد أوراقه ٢٣٠ ورقة، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية (مخطوط تفسير رقم ٣٢) وعلى وجه المخطوط ما يفيد أنه مختصر للنكت والعيون للماوردى[٢٢].

---

(٢١) العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه فى التفسير للدكتور الوهيبى ص ١٦٧ وما بعدها.

(٢٢) فوائد مشكل القرآن للعز، تحقيق الدكتور رضوان الندوى ص ١٩/ وما بعدها.

الاعلام للزركلى جـ ١٤٦/٥.

٨ ـ آثـــــاره : ـ

أولاً : فى العقيدة : ـ

١ ـ رسالة فى علم التوحيد (خ)
٢ ـ نبذة مفيدة فى الرد على القائل بخلق القرآن (خ)
٣ ـ الفرق بين الاسلام والإيمان (خ) اسكوريال (٢) ١٥٣٦
٤ ـ بيان أحوال الناس يوم القيامة ؟
٥ ـ ملحة الاعتقاد أو العقائد (ط)

ثانيا : فى التفسير وعلومه : ـ

١ ـ اختصار تفسير الماوردى «النكت والعيون» (خ)
٢ ـ تفسير القرآن العظيم من تأليفه (خ) دار الكتب المصرية/٣٢ تفسير.

وقد اشتهر المترجم له عند الباحثين بأنه فقيه مجتهد، أما كونه مفسراً فغير مشهور، مع أن له تفسير ين، أحدهما: اختصار تفسير الماوردى «النكت والعيون». والآخر ألفه ابتداء فى تفسير القرآن الكريم، ولم يُشتهر بذلك، لأن تفسير يه مكدسان فى خزائن المخطوطات، فلم يحظيا بالنشر والدراسة.

٣ ـ فوائد مشكل القرآن (ط) حققه الدكتور سيد رضوان الندوي ـ نشر دار الشروق.
٤ ـ الاشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز (ط) المطبعة العامرة استنبول سنة ١٣١٣ هـ
٥ ـ أمالي عز الدين بن عبدالسلام (خ)

ثالثا : فى الحديث : ـ

١ ـ شرح حديث لا ضرر ولا ضرار ؟
٢ ـ شرح حديث أم زرع (خ)
٣ ـ مختصر صحيح مسلم ؟

رابعا : في الفقه وأصوله : ـ

١ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام (ط) المكتبة الحسينية القاهرة سنة ١٩٣٤م وطبعات أخرى.

قال ابن السبكي في طبقاته : «وهذان الكتابان ـ قواعد الأحكام، وكتاب الاشارة المتقدم الذكر ـ شاهدان بإمامته، وعظيم منزلته في علوم الشريعة».

٢ ـ القواعد الصغرى (خ)

٣ ـ الإمام في بيان أدلة الأحكام (خ)

٤ ـ مقاصد الصلاة (خ) اسكوريال (٤) ١٥٣٦

٥ ـ الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة (ط)

٦ ـ مقاصد الصوم (خ) اسكوريال (٥) ١٥٣٦

٧ ـ مناسك الحج (خ) اسكوريال (٦) ١٥٣٦

٨ ـ أحكام الجهاد وفضله (خ)

٩ ـ الغاية في اختصار نهاية المطلب في دراية المذهب ـ الشافعي ـ لامام الحرمين الجويني (خ)

١٠ ـ الجمع بين الحادي والنهاية (خ)

١١ ـ شرح منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، لأبي عمرو بن الحاجب المالكي؟

١٢ ـ العماد في مواريث العباد. ؟

خامساً : في الفتاوى : ـ

١ ـ الفتاوى الموصلية (خ) المكتبة الظاهرية بدمشق ٦٩٦٢

٢ ـ الفتاوى المصرية (خ)

سادساً : في التصوف : ـ

١ ـ شجرة معارف الأحوال، وصالح الأقوال والأفعال (خ) اسكوريال (١) ١٥٣٦

٢ ـ الفتن والبلايا والمحن (خ) اسكوريال (٧) ١٥٣٦

٣ ـ مقاصد الرعاية لحقوق الله ـ للحارث المحاسبى (خ) حستربيتى (٢) ٣١٨٤
٤ ـ مسائل الطريقة فى علم الحقيقة (ط)

سابعا : فى السيرة : ـ

١ ـ بداية السول فى تفضيل الرسول عليه السلام، أو غايات الأصول فيما سنح من تفضيل الرسول (خ) اسكوريال (٣) ١٥٣٦
٢ ـ قصة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (خ)

ثامنا : فى علوم أخرى : ـ

١ ـ مجلس ذم الحشيشة (خ)
٢ ـ نهاية الرغبة فى أدب الصحبة (خ)
٣ ـ ترغيب أهل الاسلام فى سكن الشام (ط) مكتبة الظاهرية بدمشق ٤٦٠٥ ـ ١٩١٤
٤ ـ النخبة العربية ألف فى الأجرومية؟
٥ ـ ثلاثة وثلاثون شعرا فى مدح الكعبة (خ)[٢٣] .

---

(٢٣) الاعلام للزركلى جـ ١٤٥/٤، الفتح المبين فى طبقات الأصوليين جـ ٧٤/٢، معجم المؤلفين/ لكحالة جـ ٢٤٩/٥، شرح تنقيح الفصول صـ ١٠، طبقات الشافعية جـ ٢٤٧/٥، العز بن عبدالسلام حياته وآثاره، ومنهجه فى التفسير، د/ عبدالله الوهيبى صـ ٧ وما بعدها.